

## "اتسع الخرق على الراقق"

قامت الحضارة الرأسمالية بمنظومتها الدولية على مبدأ لا يقنع العقل ولا يوافق الفطرة، بل يلي شهوات القائمين عليه وأهواء الفاعلين فيه، ويزيد في الشعوب المحكومة به الفقير فقراً والغني غنى، ولا يقدم معالجات لمشاكل الإنسان سوى مساحة واسعة من الحريات تجعله في غابة مليئة بالوحوش الضواري يأكل القوي فيها الضعيف.

نعم هذه حقيقة الحضارة الرأسمالية بنظامها الديمقراطي ومبدئها فصل الدين عن الحياة، وإن ما يبدو للناظر بسطحية من تطور تكنولوجي وتقدم علمي وصل إليه البشر في ظل هذه الحضارة لا يعبر عن مكنونها ومضمونها، بل لا يعدو عن كونه ستاراً تغطي به سوءتها، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب.

وإن تشبيهها بعصر الجاهلية القديمة فيه ظلم لذلك العصر؛ فجاهلية القدم اتخذت المعاصي عادات وأعرافاً وقد لا يعاقب مخالفتها، أما جاهلية الديمقراطية فتشريعات وقوانين ويعتبر مخالفتها مجرماً أو إرهابياً أو رجعيّاً..

جاهلية القدم كان فيها شيء من استقلالية التفكير واتخاذ القرار، فأهل جزيرة العرب بأغليتهم وقريش خاصة لم يكونوا عملاء لإمبراطورية الروم أو فارس. أما جاهلية الديمقراطية فلا تنجو بلد فيها من العمالة والتبعية الغبية لأمريكا أو بريطانيا أو للمنظومة الدولية!

وعليه نجد أنفسنا في عصر هو الأقبح، ومعصية هي الأوقح، ومصيبة هي الأشد، وجور هو الآكد؛ ثرواتنا منهوبة، وأرضنا مغصوبة، وفقر ينتشر، وقرار ينكسر، وحكام العمالة يعيشون بأمر أسيادهم في الأرض الفساد!

ولكن فساد الديمقراطية الملموس المحسوس لم يعد يحتاج إلى شرح أو بيان وتوضيح؛ فها هي شعوب العالم الإسلامي والعربي، بل والغربي، تنتفض واحدة تلو الأخرى؛ فمن تونس إلى مصر إلى اليمن إلى ليبيا إلى سوريا إلى إيران إلى فرنسا وغيرهم... وفي كل ثورة أو انتفاضة يحاولون ترقيع خروق مستجدة في حضارتهم ونظامهم.

حتى إذا قامت ثورة المسلمين في الشام عملوا كما عملوا في غيرها ولكن لم تنجح مساعيهم وطار صوابهم، وكنا نرى طائرات سفرائهم ومبعوثيهم تكاد لا تهدأ تنقلهم من مؤتمر إلى مثيله؛ أنطاليا وجنيف وفيينا وأستانة والرياض وأنقرة وطهران وسوتشي، هذه ليست مسميات بلاد في عرف أهل الشام بل هي رموز مؤتمرات ومحطات اتفاق زائف أتعبت السياسة الغربيين، حرصوا في كل مساعيهم تلك أن يرسخوا جاهليتهم ويستروا عورة مبدئهم ويرقعوا خرق حضارتهم، ولكن... اتسع الخرق على الراقق.

نعم، اتسع الخرق على الراقق...

فأهل الشام باتوا واعين تماماً أن أمريكا أوعزت لرجالها أن ينقدوا عميلها وصاحبهم طاغية الشام.

وأهل الشام باتوا واعين أن أدوار المنقذين لطاغية الشام تختلف بين متظاهر بالعداوة له وبين منافع عنه.  
وأهل الشام أدركوا كذلك أنهم لم يحققوا هدفهم بعد، فبقاؤهم في ثورة لا يعني أنهم وصلوا لهدف التغيير.  
وأهل الشام رأوا من التنظيمات المسلحة والفصائل المقاتلة ما يؤكد لهم أن الديمقراطية بجاهليتها التتنة لا زالت تسري في عقول من يحكمهم، فلم ولن يقبلوا بهذه الأشكال ولو لبست لبوس الدين.  
وأهل الشام عرفوا أبعاد الشعارات الكاذبة من أردوغان وأبطال المقاومة وغيره، فلم تعد تنطلي عليهم غدره  
(لن نسمح بحماة ثانية، وحلب خط أحمر، وإدلب ليست كغيرها)...  
أهل الشام لمسوا بأيديهم حقيقة العداة السافر من الغرب الكافر المستعمر على أمة الإسلام فلم يعودوا  
يأبهون لتحليلات وأخبار تدعي صداقة الشعب السوري...  
"اتسع الخرق على الراقق" هو مثل يضرب في الأمر الذي لا يستطيع تداركه لتفاقمه، ولن تستطيع أمريكا  
ولا أحلافها وجنودها وإعلامها ودجالوها أن يتداركوا حركة التغيير والصحة في الأمة، وما يدعيه لافروف في  
إحدى مقابلاته بقوله: (لولا تدخلنا في سوريا لأصبحت دمشق عاصمة الخلافة الإسلامية) قاصدا بقوله إنه  
تدارك الأمر، ما هو إلا كذب محض وزعم باطل ووهم مريح...  
والثوب الممزق لا ينفع معه رتق بل يحتاج صاحبه إلى تبديله، والبناء المصدع لا ينفع معه ترقيع بل يحتاج  
أهله إلى تغييره، وهذا تماماً ما بشرنا به حبيبنا محمد ﷺ؛ فبعد الملك الجبري خلافة على منهاج النبوة بإذن الله.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

أحمد حاج محمد